

ظواهر سلبية في مسيرة الشعراء / 3



الشعراء المصحفيون المصحفيون المصحفيون

هؤلاء الشعراء ليسوا واحداً، وإن جمعتهم سمات مشتركة، وحتى لا تضطرنى اللّغة إلى جعلهم واحداً فقد فرّقتهم بين ثلاث فِرَق، وهم المصحفيون والمصحفيون والمصحفيون، مخالفاً فيهم البناء المصحفيّ المعتبر لدى أهل اللّغة، فمن هم هؤلاء؟ وما هي سماتهم المشتركة؟

لعلّ أكثر هؤلاء خداعاً هم شعراء المصحف بالجمع، بمعنى أنّهم مرتبطون بمجموعة من المصحف والمجلات، يكتبون لها، وفيها ينشرون، وهؤلاء نادراً ما يقرؤون سوى أنفسهم، مزهوّين بنصوصهم، يداعبونهم بالكلام، يزيلون الغبار عن جُمَلها، ويحرسونها من الهم والحسد، يرقونها ويسترقونها، ويقبضون ثمنها، لا يكتبون بالسُّخرة، ولذلك فهم يتمتّعون بشبكة قويّة من العلاقات الثّقافيّة للسيطرة على سوق الإنتاج الثّقافيّ ما إن ينتهوا من نصّ إلا وتهيّأوا لغيره، تجدهم في كلّ مجلة أدبيّة وصحيفة وموقع إلكترونيّ، مقبلين غير هيّابين ولا (مفرملين)، كما أنّهم لا ينظرون حولهم، ولا يرون غيرهم، شبعوا زهواً حتى لم يعودوا يعرفون غير أسمائهم، غرباء عن الثّقافة والشّعراء والأدب، ولا أحد يعرفهم، ولا يقرأ لهم، لكنّهم وجدوا من يشتري نتائج أفعالهم، فكانوا شلّة، تمارس الإقصاء والتغريب، فرجوا بما معهم، ورضوا واطمأنّوا. هؤلاء لا يرون حاجة للاستزادة من المعرفة، وما حاجتهم إليها، وهم الكتّاب الكتّاب وإليهم يرجع الأمر كلّّه علانيته وسرّه، وتراهم على سلّم الأولويّات في المؤتمرات والأمسيات الفخمة، والسّهرات الباذخة والسّهرات والتّمثيل الرّسميّ، هم الأرباب، والرّبّ صار مصحّفيّاً.

وأما المصحفيون فهم المنتسبون إلى المصحفة بالمفرد، منتسبون إليها انتساباً عضويّاً، حتى غدا اسم المصحفة اسمهم الثّاني، فما أن يذكر أحدهم إلا وتذكر معه صحيفته، ولا يطنّ أحد أنّ المقصود فقط المصحفة الورقيّة والملحق الثّقافيّ أو المصحفة الأدبيّة فقط، بل يتعدّى ذلك إلى المجلات والمواقع الأدبيّة التي يحلو لهم أن يصدّفوها بالرّصينة أو الوازنة أو المهمّة أو العريضة، تسويقاً

لأنفسهم وخدمة لمرجسيّتهم، هؤلاء قد لا ينشرون شيئاً لهم في هذه الصحف، ولكنهم متحكّمون في السّوق الثقافيّ تحكّماً كاملاً عبر شبكة من العلاقات الثقافيّة المشبوهة مع الفريق الأوّل، فهم متشابهون جداً ويحملون الصّفات نفسها، حتّى أنّك تكاد لا تفرّق بينهم، لما بينهم من لُحمة وتشابه وأهداف مشتركة، تعرفهم بلحن القول.

وأما الشّعراء الصّحافيّون فهم المشتغلون بالصحافة، أي أنّ مهنتهم هي الصحافة والتقاط الأخبار، وصياغة التقارير الصحفيّة عن الكتّاب والشّعراء أشباعهم والحالة الثقافيّة عموماً، ولا يخفى أنّ دور هؤلاء متواضعاً في المجمل، فما هم إلّا موطّغون عند الفريق الأوّل، ينتجون الأخبار ويولّدونها من بعضها، فما عليهم إلّا فقط تغيير الأسماء والزّمان والمكان، وإذا بالخبر جاهز، هؤلاء يتمتّعون ببعض سلطة، وإن كانت سلطة منقوصة، ولذلك تجدهم يبالغون في إثارة الانتباه لهم عبر تلك الأخبار (المفبركة)، الّتي تحكمها المصلحة أيضاً، وهم بكلّ تأكيد على وفاق وانسجام مع الفريقين الأوليين، ولكنهم أقلّ منهم شأناً، وأهون مكانة، فلا ينظرون إليهم إلا نظرة التّابع، الّذي يؤمر فيطيع، وما عليه إلّا تنفيذ الأمر شاء أم أبى، ولا مفرّ له، وإلّا سيكون مصيرهم التّعنيف أو الطّرد أو الإهمال، أو ...

هذان الفريقان الأوّل والثّاني، ليس لديهم ما يقولونه حول الأدب، نفضوا أيديهم منه منذ زمن، ولكنّ المشكلة في الفريق الثّالث، هؤلاء الصّحافيّين (المشتغلون بالصحافة) الّذين يناضلون من أجل أن يرتفعوا إلى مصافّ الأدباء أو يتشبّهون بهم، أو أن يتشبّهوا بواحد من أعضاء الفريقين الأوليين، وما عليهم بجانب تقاريرهم المتناسخة إلّا أن يعابثوا الشّعريّ ويتطفّلوا عليه، فيأتون بما لم يأت به شاعر من قبل، فيقلبون النّظام الشّعريّ كلّاً، بلغة صحفيّة ركيكة وصور هشّة، وفقر في المعنى، بل تجدهم يهربون إلى ما قد يظنّون أنّهم مدهش منعش و(مفرفش) من لغة الجسد الفجّ، العديم في شهوته، والنّزيّء في أعضائه، لا يثير الجمال، ولا حتّى شهوة المراهقين العابثين، بل إنّهم خير وسيلة للإقلاع عن التّشبّه بأفلام (البورنو) لما سيحده القارئ من قرف اللّغة و(عجقة) المشاهد والصّور.

هؤلاء الشّعراء الصّحافيّون يتوسلون بواحد أو أكثر من أعضاء (الماфия الثقافيّة) السّابقة، ليتحدّثوا عنهم في بعض الدّعائيات أو اللّقاءات، إنّهم يكبرون في الطّلّ، ويتمدّدون في العتمة، ويتلاشون تحت وقع أقلام النّقّاد، مع أنّ النّقّاد الجادّين لا يلتفتون إليهم، ففي قراءتهم ضياع للوقت والانشغال بهم عمل عبثيّ بامتياز، لذلك تجدهم يتبخرون في النّور، ولم يعد يسمع بهم أحد لا من قريب ولا من بعيد، وكأنّ تلك (الهوجة) الإعلاميّة الّتي صاحبت دواوينهم لم تكن إلّا زوبعة في فنانجيس أكثر.

هكذا يتوقع الشّعراء الصّحافيّون والصّحفيّون والصّحافيّون ليشتكّلوا ظاهرة سلبية عمّ خرابها الشّعريّ، وصارت مهمّة البحث عن نصّ جيّد في ركام الورق ومنشورات المواقع، كأنّك تبحث عن إبرة في بيدر عظيم من القشّ، عدا ما يمارسه هؤلاء من طمس للمواهب الحقيقيّة، فيتجاهلونهم، ولا يحفلون بهم، رضوا أن يكونوا مع أنفسهم لأنفسهم كمثال الّذي ينقّب بما لا يسمع إلّا دعاء ونداء، صم بكم عمي فهم لا يعقلون، فلا هم منتجون حقيقيّون ولا يريدون لأحد أن يكون شاعراً حقيقيّاً لأنّ الرّعب يأكلهم، إن حدث وسمع الجمهور باسم جديد، فإنّهم سيشتّدون عليه أسلحة الثقافة المدمّرة، حتّى يصمت أو يبتعد أو يتلاشى، فكم من شاعر قليل نتيجة سوء أفعالهم.